المنار
١٣١٥
نشر هادي الدين يستمون القول يتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
يؤتي الملك من يشاء ومن يؤت الملك فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : اني للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر سلخ رمضان ١٣٣٠ هـ ق ٢٠ الصيف الثالث ١٢٩١ هـ ش ١١ سبتمبر ٩١٢ م ﴾

بشائر عيسى ومحمد (*)

﴿ في العهدين العتيق والجديد ﴾

٦

﴿ استدراك على الفصل الاول ﴾

« وعلى نبوة دانيال المذكورة في صدر هذه الرسالة »

جاء في دائرة المعارف الانكليزية مجلد ١٣ ص ٤٢٧ و٤٢٨ في حرب الرومان مع اليهود ما خلاصته (أن اليهود عصوا الرومان وخرجوا عليهم فأرسل الامبراطور (نيرو) أحسن قواده (فسپاسيان) وهو أبو (طيطس) لمقاتلتهم وإخضاعهم . فبدأ (فسپاسيان) الحرب معهم في (الجليل) في ربيع سنة ٦٧ ميلادية . وفي سنة ٧٠ حوصرت أورشليم تحت قيادة (طيطس) ودارت رحى الحرب فيها إلى أن تم

(*) تابع لما نشر في الجزء الثامن ص ٥٨٦ بقلم الدكتور محمد توفيق صدقي

تخريبها واحراق هيكلها في شهر أوغسطس من هذه السنة . ولكن لم تخضع جميع اليهود تماما و بقيه عصيانهم ومقاومتهم للرومان الا في سنة ٧٣ ميلادية) اهـ باختصار ومن ذلك يتبين أن الحرب الحقيقية ابتدأت وانتهت في ظرف سبع سنين و بطلت الذبيحة والتقدمة في وسطها (أي في وسط هذا الاسبوع من السنين)

وفي هذه المدة كان كثير من كبراء اليهود وعظمائهم يخالفون باقي قومهم في هذه الحرب فمالوا الى جانب الرومان وخرجوا اليهم وأظهروا لهم الطاعة والبقاء على موالاتهم وعهدهم فأمنوهم ولم يصيبوهم بأذى مدة هذه الحرب حتى انتهت وهم مسالمون معاونون للرومان والرومان مسالمون لهم . ومن هؤلاء (يوسيفوس) المؤرخ اليهودي الشهير فقد كان مع (طيطس) ونصح قومه كثيرا بالخضوع والطاعة . فهذا هو المراد بقول دانيال فيما سبق ٩ : ٢٧ (ويثبت (أي جيش الرومان كما يفهم من السياق) عهدا مع كثيرين (وهم كبراؤهم الذين فروا منهم) في أسبوع واحد وفي وسط الاسبوع (أي سنة ٧٠) يبطل الذبيحة والتقدمة) باحراق الهيكل وتدميره وتشتيتهم

وقوله ٩ : ٢٦ (يقطع المسيح وليس له) وجدنا أن الترجمة الصحيحة لاصله العبري (ينقطع المسيح ولا يكون له شيء) أو (لا يبقى له أحد) ومثل ذلك ترجم في بعض التراجم الانكليزية والامريكانية وهو عين ماقلناه سابقا من أن معناه ينتهي ملكهم وينقطع مسيحهم بعدمحيا ولا يبقى له شيء من القوة والملك والسلطة أو النسل والخلافة بل يمحي محوا تاما وتزول دولتهم وقد كان ذلك فلم يعد ملكهم القديم وزال ماعاد لهم من مجد منذ ذاك الحين

وعليه فهذه النبوة لا علاقة لها مطلقا بمسألة الصلب المزعوم حتى لو حملت على المسيح عيسى كما لا يخفى على المتأمل

ومما يؤيد عقيدة المسلمين في المسيح وعدم صلبه وعدم ألوهيته من كتب اليهود والنصارى ماجاء في الاصحاح ٤٩ من كتاب أشعياء وهو باعترافهم نبوة عن المسيح قال ٢ (. . . . . في ظل يده خبأني وجعلني سهما مبريا . في كنانته أخفاني ٣ وقال لي أنت عبدي اسرائيل الذي به أتمجد ٤ . . . . . لكن حقي

عند الرب وعملي عند إلهي ٥ والآن قال الرب جابلي من البطن عبدا له .....
وإلهي يصير قوتي ٧ هكذا قال الرب فادي اسرائيل قدوسه لمهان النفس لمكروه
الامة لعبد المتسلطين ينظر ملوك فيقومون . رؤساء فيسجدون ... الى قوله ... ٨ في وقت
القبول استجبتك . وفي يوم الخلاص أعنتك فأحفظك وأجعلك عهدا للشعب)
وهو صريح في أن المسيح عبدالله وأنه سيحميه ويجيب دعاءه وينجيه ويحفظه وقوله
(رؤساء فيسجدون) المراد به سجود الاكرام والتعظيم والخضوع كما قال في حق
سليمان مز ٧٢ : ١١ (ويسجد له كل الملوك) وقد سجد مثل هذا السجود موسى
عليه السلام لحميه يثرون (خر ١٨ : ٧) وبنو الانبياء لاليشع (٢ مل ٢ : ١٥)

وقال في مزمور ٩١ : ٩ (لانك قلت أنت يارب ملجأي جعلت العلي مسكنك ١٠
لا يلاقيك شر . ولا تدنو ضربة من خيمتك ١١ لانه يوصي ملائكته بك لكي
يحفظوك في كل طرقك ١٢ على الايدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك ١٣ على
الاسد والصل تطأ . الشبل والثعبان تدوس ١٤ لانه تعلق بي أنجيه . أرفعه لانه
عرف اسمي ١٥ يدعوني فأستجيب له . معه أنا في الضيق . أنقذه وأمجده ١٦ من
طول الايام أشبعه وأريه خلاصي) وكون هذا المزمور في حق المسيح يفهم من
انجيل متى (٤ : ٦ ـ ٨) واذا كان المراد بالرفع هنا الرفع الجسماني كما يؤيده
قوله (من طول الايام أشبعه) فله مثيل عندهم في غير المسيح فقد رفع أخنوخ
(تك ٥ : ٢٤ وعب ١١ : ٥) وكذلك إيليا (٢ مل ٢ : ١١)

وجاء في المزمور ١٠٩ (وأوله في حق يهوذا الاسخريوطي كما قيل في سفر
الاعمال ١ : ٢٠) قوله عن لسان المسيح بعد أن تكلم على يهوذا وغيره من أعدائه ٢١
(أما أنت يارب السيد فاصنع معي من أجل اسمك . لان رحمتك طيبة نجني ٢٢
فاني فقير ومسكين أنا وقلبي مجروح في داخلي ٢٣ وأنا صرت عارا عندهم . ينظرون
الي وينغضون رؤوسهم (أنظر أيضا متى ٢٧ : ٣٩) ٢٦ أعني يارب إلهي . خلصني
حسب رحمتك ٢٧ وليعلموا ان هذه هي يدك . أنت يارب فعلت هذا ٢٨ أما هم
فيلعنون . وأما أنت فتبارك . قاموا وخزوا . أما عبدك فيفرح ٢٩ ليلبس خصمائي
خجلا وليتعطفوا بخزيهم كالرداء ٣٠ احمد الرب جدا بفمي وفي وسط كثيرين

أسبحه ٣١ لأنه يقوم عن يمين المسكين ليخلصه من القاضين على نفسه) وهو صريح في أن الله نجى المسيح عليه السلام من القاضين عليه وأن يهوذا وقع فيما دبره لسيده كما أشار داود إلى ذلك في هذا المزمور بقوله ١٠٩ : ٧ (إذا حوكم فليخرج مذنبا وصلاته فلتكن خطيئة) إلخ إلخ

وقال في مزمور ٣٤ : ١٧ (أولئك صرخوا والرب سمع ومن كل شدائدهم أنقذهم ١٨ قريب هو الرب من المنكسري القلوب ويخلص المنسحقي الروح ١٩ كثيرة هي بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب ٢٠ يحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر ٢١ الشر يميت الشرير ومبغضو الصديق يعاقبون) فهذه العبارات هي باعترافهم في حق المسيح كما في يو ١٩ : ٣٦ وهي صريحة في نجاة المسيح وخلاصه من كل البلايا والمصائب وفي عقاب أعدائه ومبغضيه. وقوله فيها (يحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر) أدل على قولنا بعدم الصلب منه على قولهم بالصلب لأن الصلب عادة يستلزم تفتيت عظام اليدين والقدمين وهو شيء لا يمكن توقيه في الصلب ولا بالتعمد والمذر الشديد فكيف اذا لم ينكسر واحد من عظامه ؟ فالحق أن المراد من هذه العبارة أن الله يحفظ جسمه كله ويصونه من كل اذى بليغ فهو من باب اطلاق الجزء وارادة الكل. أما إذا صح أنه صلب فاي أذى أعظم من ذلك ؟ وما معنى قوله إنه ينقذه وينجيه ويخلصه من كل البلايا فأي بلية أعظم من الصلب والقتل ؟ وإذا كان المراد انه يصلب حتى يموت ولكن لا ينكسر عظم من عظامه فما فائدة ذلك وما وجه البشارة به ؟ وهل يتفق هذا مع قوله ينقذه ويخلصه وينجيه ؟ فمن أي شيء نجاه إذا ؟

وقال المسيح عليه السلام لما أرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداما ليمسكوه (يو ٧ : ٣٣) « أنا معكم زمانا يسيرا بعد ثم أمضي إلى الذي أرسلني ٣٤ ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا » وهو صريح في أنهم لن يجدوه ولن يقبضوا عليه

ومما يدلك على قدرته عليه السلام على التشكل بأشكال مختلفة والاختفاء عن عين الناس قول مرقس ١٦ : ١٢ (وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى) وقول لوقا ٢٤ : ١٥

(إقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشي معهما ١٦ ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته) وجاء في لوقا ٢٤ : ٤٢ و ٤٣ قوله بعد قيامة المسيح المزعومة (فناولوه جزءًا من سمك مشوي وشيئاً من شهد عسل فأخذ وأكل قدامهم) وهو يدل على أنه قام بعين جسده المادي الذي كان به قبل الصلب وإذا كان يقدر أن يختفي به بعد قيامته كما قال لوقا (٢٤ : ٣١) فاي مانع يمنع من اختفائه به قبل الصلب وهو هو ؟ على أنه كان يختفي فعلا قبل الصلب كما قال يوحنا وكان يمشي في وسط اليهود بدون أن يروه (يو ٨ : ٥٩) راجع أيضاً (يو ١٠ : ٣٩) ومثله ورد في لوقا (٤ : ٣٠)

وقال عليه السلام ايضا يو ١٦ : ٣٢ (هوذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركونني وحدي . وأنا لست وحدي لأن الآب معي ٣٣ قد كلمتكم بهذا ليكون لكم في سلام . في العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم) وهو بشارة من المسيح لتلاميذه بأن الله سينجيه وينقذه وإلا فهل يصح أن من كان الله معه ومن غلب العالم يغلبه اليهود ويصلبونه رغما عن إرادته كما بيناه في صفحة ٨٠ ؟ وكيف يتفق هذا القول مع قول المصلوب كما في متى ٢٧ : ٤٦ (إلهي إلهي لماذا تركتني) مع أن الاول صريح في أن الله لم يتركه ؟

هذا وقد أنكر الصلب كثير من فرقهم في مبدأ النصرانية أي قبل الاسلام بسنين عديدة منهم السيرنثيين (Cerinthians) والباسيليديين (Basilidians) والكاربوكراتيين (Carpocratians) والتاتيانوسيين أتباع تاتيانوس تلميذ يوستينوس الشهيد الشهير وغيرهم كثيرون وكثير من فرقهم القديمة ايضاً كانوا موحدين منكرين لألوهية المسيح وأشهرهم (الأريوسيون) (Arians) ومنهم كان الامبراطور (قسطنطين) أول قياصرة الرومان المسيحيين (وكذلك أم الطيطون) أي (الجرمانيين) ولا تزال منهم طائفة كبيرة في أوربا يسمون الموحدين (Unitanians) إلى اليوم . وقال فوتيوس (Photius) إنه قرأ كتابا يسمى (رحلة الرسل) فيه أخبار بطرس ويوحنا واندراوس وتوما وبولس

ومما وجده فيه هذه العبارة (إن المسيح لم يصلب ولـكن صلب غيره وقد ضحك بذلك من صالبيه) أي الذين ظنوا أنهم صلبوه

وقد ذكرنا أكثر هذه الفرق المنكرة للصلب في كتابنا (الخلاصة البرهانيه على صحة الديانة الاسلامية) وفي كتاب (الدين في نظر العقل الصحيح)

واعلم أن الذين قبضوا على المسيح ما كانوا يعرفونه ولذلك أخذوا معهم يهوذا ليدلهم عليه وأعطاهم علامة (متى ٢٦ : ٤٧ ـ ٥٠ ومرقس ١٤ : ٤٣ ـ ٤٦ أنظر أيضا أع ١ : ١٦) فـكان دليلهم الوحيد هو يهوذا كما يفهم من جميع نصوص العهد الجديد وخصوصا التي أشرنا إليها وقد كان القبض عليه ليلا كما يفهم من سياق القصة في جميع الأناجيل (انظر متى ٢٦ : ٣١ و٣٤ و٧٥ و٢٧ : ١ ومر ١٤ : ٢٧ و ٣٨ ـ ٤٢ ولو ٢٢ : ٥٣ و٦٦ ويو ١٨ : ٣ و٢٧ و٢٨)

ويظهر من انجيل يوحنا أنه حصل لهم حينما أرادوا القبض عليه هيبة منه حتى أغمي عليهم وسقطوا على الأرض (يو ١٨ : ٦) وما كان هيرودس يعرفه ، ولم يجب المقبوض عليه هيرودس بشيء (لو ٢٣ : ٨ و ٩). فهنا أيضا موضع آخر للشك

وكان بيلاطس هو وامرأته يريد إنقاذ المسيح (متى ٢٧ : ١٥ ـ ٢٥ ولوقا ٢٣ : ١٣ ـ ٢٥) فيجوز أنه غشهم وأطلق لهم غيره وخصوصا لأن رؤساءهم وكذا القابضين عليه ما كانوا يعرفونه كما سبق وكان بيلاطس يعتقد أنه بريء من كل ما نسب إليه (متى ٢٧ : ٢٤)

وإذا كان من معجزات بطرس تلميذ المسيح النجاة من السجن (أع ١٢ : ٦ ـ ١٠) وكذلك بولس وسيلا (أع ١٦ : ٢٥ و ٢٦) فهل من البعيد أن يكون المسيح عليه السلام أنقذ من السجن كما أنقذت اتباعه أو أنه هرب منه أو أن بيلاطس أبدله بغيره فظنوه هو وهو ليس المسيح فذهب إلى موضع آخر كما ذهب بطرس بعد السجن (أع ١٢ : ١٧) وهناك توفاه الله أو رفعه إليه فلم يجدوه كما قال عليه السلام (يو ٧ : ٣٤) وكما لم يجد الخمسون

الرجل إيليا بعد رفعه (٢ مل ٢ : ١٧) وكما لم يعرف أحد مكان موسى بعد موته (تث ٣٤ : ٦)

فانظر هداك الله إلى هذه النصوص وتدبرها بعين البصيرة تجد أنها كلها تؤيد عقيدة المسلمين في المسيح عليه السلام وتنقض عقيدة النصارى فيه ولكنهم يتعسفون في تأويلها ويتكلفون كما هي عادتهم

ومن العجيب أنهم يتركون مثل هذه النصوص والجوالت السابقة الفصيحة الصريحة ويتمسكون بعبارات من نبوات غيرها مبهمة وقابلة لكل تأويل وهي ليست نصا في عقائدهم ولا تنهض لهم بها حجة كما أريناك في هذا الكتاب هداهم الله إلى الحق والصواب

***

﴿ الفصل الرابع ﴾

« في بشائر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته »

تمهيد :

اعلم ان تغيير حال أمة كالأمة العربية واحيائها واحياء أمم الأرض بها وقلب نظاماتها وصبغاتها واصلاح جميع أحوالها وأمورها واخراجها من الفساد والاختلال والفوضى برجل كمحمد (ص) في حاله ونشأته وفقره ويتمه وأميته وبتلك السرعة العجيبة في ذلك الزمن القصير أمر لم يعهد له مثيل في تاريخ البشر. وليس له نظير فهو من أعجب العجائب وأغرب الخوارق

رجل فقير يتيم أمي بعيد عن العلم والعلماء في ناحية من الأرض بعيدة عن كل نظام ومدنية ناشئ في الهمجية وبين أهل له وأقارب عريقين في الجهل والكفر والوثنية فأوجد وحده من الجهل علما ومن الفساد نظاما ومن الكفر إيمانا ومن الشرك توحيدا ومن التشبيه تنزيها ومن التفرق اتحادا ومن التخاذل ائتلافا ومن

الضعف قوة ومن الهمجية مدنية وهو في كل ذلك الليث الغضنفر والقائد المحنك والخطيب المصقع والبليغ المعجز والسياسي الحاذق والمنبئ الصادق والشارع الحكيم والمعلم الماهر المخبر لقومه بما لم يعلموه وما لم يلتفتوا اليه والتقي الورع والزاهد الناسك العابد والمتمتع بالحلال والمتلذذ بالطيبات والرؤوف الرحيم والقاسي على الظالمين ومثال الأدب والتهذيب والرقة والكمال والجمال والنظافة والاعمال الصالحة والايمان الصادق الصحيح والمصلح الاكبر لامته ولسائر العالم إني والله لا أدري ماذا أقول وكيف أصفه وبماذا أعبر عنه بما يخالج قلبي فيه فهو الانسان الكامل الجامع للاضداد والمتناقضات والذي يجد فيه كل طالب ما يشتهيه والقدوة الحسنة في كل شيء والمثال الصالح الوحيد في كل صفة أو خلق أو عمل (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)

ألا نرى أنه أوجد من العدم أمة حملت لواء العلم والعز والمجد والمدنية الصحيحة والحرية والاخاء والمساواة إلى أمم الأرض قاطبة مع شدة الحاجة إلى بعثه في ذلك الزمن الذي ساد فيه الاختلال والفساد والكفر والظلم والاستبداد وسوء الحال والجهل فغيرت وجه الارض وقلبت نظامات الامم وصبغتها بصبغتها في اللغة والدين والاخلاق في سنين قليلة وبسرعة خارقة للعادة

انظر الى دول هذا العصر مع عظمتها وقوتها وعلمها وأموالها واقتدارها كيف عجزت عن صبغ محكوميها بصبغتها في الدين واللغة والجنس والاخلاق مع صرف كل مجهوداتها ومعلوماتها وأموالها واقتدارها في ذلك فلم تزدد الناس منها إلا نفورا وسخطا وبغضا مع مضي المدد الطويلة عليها وتسلطها على جميع مصادر حياة تلك الامم فلم تنل منها مع قوتها في السنين العديدة ما ناله العرب مع ضعفهم في السنين القليلة

فمحمد (ص) الذي أوجد تلك الامة وذلك الدين وتلك الدول الآخذة بتعاليمه المتأثرة بأقواله وأفعاله إلى اليوم والذي له أكبر سلطان على نفوس الملايين من البشر ، أيكون له كل هذا الاقتدار وذلك السلطان مع مرور الاعوام والدهور ودينه لا يزداد إلا انتشارا ـ أيكون كل ذلك بدون عون إلهي ومدد رباني ؟

يؤذني بعلم إن كنتم صادقين . أي نظير له بين البشر ؟ أي مثال له بين الناس ؟ ولماذا كان متفردا وخارقا للعادة في كل شيء ؟ أي مصلح قام بين البشر وكان مثله في حاله ونشأته وكانت أمته كأمته العربية البدوية الامية وكان منه ما كان من محمد صلى الله عليه وسلم في العالم و بسرعة عجيبة كهذه أو دام عمله في الارض الى اليوم ؟ ولماذا خاب كل مدع للنبوة من بعده وفشل ـ تصديقا لقوله عن نفسه انه خاتم النبيين ـ ؟ فيا أيها المؤرخون المفكرون والباحثون المتدبرون في أحوال الاجتماع وطبائع البشر ! لماذا كان محمد شاذا فذا في جميع أعماله دون سائر البشر ؟ ولماذا كانت له تلك القدرة العجيبة والسلطان السريع والتأثير المدهش في أمم الارض قاطبة من قبل ومن بعد إلى قيام الساعة ؟ وكيف نعلل ذلك تعليلا معقولا صحيحا بغير الاعتقاد بصدقه ؟

أليس عمله في قلب الامة العربية و بعثها من الموت إلى الحياة بسرعة من يقول للشيء : كن فيكون أبلغ من قلب موسى العصا حية ومن إحياء عيسى ثلاثة أموات ؟ وأيهما أدل وأليق بالنبوة ؟ انظر إلى رجلين ادعيا علم الطب فأثبت أولهما عليه به بتأليفه فيه و بحسن علاجه ونجاحه وشفائه المرضى في أقرب وقت وأثبت الثاني دعواه علم الطب بألعوبة كالاعيب المشعوذين بأن رمى بحبل إلى السماء ثم تعلق به وصعد عليه فأيهما أتى بما يناسب دعواه وما العلاقة بين الطب و بين تلك الألاعيب ؟ نعم قد يدهش البسطاء و يصدقون الثاني الذي أدهشهم وحيرهم بألاعيبه وعجائبه ولكن لا يكون تصديقهم هذا مبنيا على برهان عقلي منطقي صحيح

كذلك الفرق بين محمد والانبياء قبله فمحمد أثبت دعواه بما يناسب مدعاه والانبياء الآخرون أتوا بما لا علاقة له بمدعاهم ولكنه يدهش الناس ويحيرهم حتى يذعنوا لهم ويهابوهم فيخضعوا (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا)

هذا ولما كانت الأمم القديمة كالأطفال جاءهم الانبياء بما يناسب عقولهم ودرجة مداركهم ، ولكن كان الجنس البشري قد بلغ رشده في عصر النبوة المحمدية ثم ارتقى بعده واستوى فاذا جاءه بما يليق بعقول راقية وينطبق على البرهان المنطقي الصحيح ولذلك تجد الناس الآن ينفرون من ذكر المعجزات الغابرة وقل

في علمائهم من يود سماع أقاصيصها . ولا ينكر الترقي التدريجي للبشر الا المكابر المعاند ويغنينا عن اثبات ذلك أنه صار الآن عقيدة من عقائد جميع العلوم الحديثة ثم كان لتلك الأمم درجات من المدنية ولكنها دون مدنية العرب ومدنية الافرنج بمراحل

خذ مقياسا لعقول أمة موسى كيف كانوا بين حين وآخر يرتدون ويعبدون الأصنام ولعقول أمة عيسى كيف حولوا دينه الصحيح دين ـ التوحيد والتنزيه ـ من قديم الزمان إلى وثنية لا تختلف عن وثنيات الأمم المجاورة لهم في شيء ـ تلك الوثنية المشاهدة الآن في جميع عقائد النصرانية وعباداتها وتعاليمها وعبارات كتبها حتى نفرت أهل العلم من الدين كله في أوربة لجهلهم بالاسلام فظنوا أن جميع الأديان كالنصرانية فخرجوا منها إلى ما يسميه القسيسون بالالحاد وما هو إلا ميل الفطرة البشرية السليمة إلى الدين الحق دين التوحيد والتنزيه والعقل وحب الخير وبغض الشر فظنهم الناس كافرين وما هم في الحقيقة إلا مؤمنون ولكن بعقائد غير عقائدهم تنطبق على العلم والعقل الصحيح

ارجع بنا إلى القرون المسيحية الاولى تر الناس تضاربت عقائدهم وأفكارهم في كافة أصول الدين الأساسية وكثرت مذاهبهم فيها وتعددت ومزجت النصرانية بالفلسفات القديمة مزجا أضاع حقيقتها حتى ذابت فيها ولم يرق للناس في تلك الأزمان ـ لقصر عقولهم ـ إلا الشرك والتجسيم وعبادة الصور والصلبان والتماثيل

وكلما قام فيهم موحد أو مصلح حكموا بكفره ومروقه حتى أريقت دماء الملايين بسبب ذلك ظلما وعدوانا وتبدل دين المحبة والوفاق الى بغض وشقاق وانصدع بنيان الكنيسة المسيحية من قديم الازمان

قام أريوس بالتوحيد ووافقه على ذلك بعض الاساقفة والامبراطور قسطنطين نفسه كما قلنا ـ ثم وجد له من أمم الجرمانيين أتباع عديدون ولكن ميل جمهور الناس في ذلك الزمن إلى الشرك والوثنية حمل أكثر أعضاء مجمع (نيقية) سنة ٣٢٥ م على الحكم عليه بالزندقة والمروق وتأصلت العداوة بين أتباعه وبين سائر المسيحيين

من ذلك الحين

ولما فشت في الناس عبادة الصور والتماثيل واشتدت حتى صارت جزءا من الدين قام بعض الناس ومنهم القياصرة كليون الثالث لمحقها وسموا إذ ذاك « كاسري التماثيل » (Iconoclasts) وكان ذلك في القرن الثامن والتاسع فحكم البابا جريجوري الثاني والثالث بحرمانهم ومروقهم ولما اجتمع مجمع القسطنطينية سنة ٨٤٢ كان أيضا مضادا لهم وفاز فيه العابدون لها مع نهي كتبهم عن عمل الصور والتماثيل وعبادتها والاشراك بالله تعالى نهيا صريحا لا يقبل التأويل (أنظر ت ٤ : ١٥ ـ ١٩ و ٦ : ٤ و ١٣ : ١ ـ ٥) فكان ذلك سببا آخر من أسباب الشقاق بين المسيحيين

ولما قام لوثر بالاصلاح البروتستني في القرن السادس عشر اشتعلت نار الحروب بين المسيحيين وخضبت الارض بدماء الالوف من الابرياء المصلحين في مثل مذبحة اليهود غيوز (Huguenots) بفرنسة سنة ١٥٧٢ ميلادية ومع رقي البشر الآن ووجودهم في عصر النور والعلم ترى التثليث منتشرا بين جميع فرق المسيحيين الا قليلا من الموحدين (Unitanians) وكذلك عبادة الصور والصلبان في الكنيسة الارثوذكسية والكاثوليكية كما أقرتها مجامعهم القديمة التي عليها التعويل في كل مسائل دينهم والحكم على كتبهم . ومن فرقهم القديمة من عبد مريم العذراء وكانوا يدعون بالمريميين ومنهم بعض أساقفة مجمع نيقية وكان الثالوث عندهم مركبا من الاب والمسيح ومريم على أنهم ثلاثة آلهة ولا تزال صورة مريم للآن في الكنائس الرومانية والشرقية يسجد لها ويتقرب ويصلي لها ويطلب منها النصارى ما يشتهون وهذا سبب نهي القرآن الشريف عن إتخاذها إلهة مع الله تعالى عما يشركون (انظر سورة المائدة ٥ : ٧٣ ـ ٧٥ و ١١٦) لان نصارى العرب كانت تعبدها من دون الله

من ذلك تعلم حكمة تشديد الشريعة الاسلامية في النهي عن التصوير واتخاذ التماثيل وتعظيم القبور . وتعلم حاجة العالم في ذلك الوقت إلى الاصلاح العظيم الذي جاء به الاسلام . راجع كتاب التوسل والوسيلة لابن تيمية يتضح لك منه ان الاسلام سابق لكل إصلاح عملي ناجح فأني لمحمد ذلك لولا وحي الله ؟ ولماذا

شذ عن العالم كله في ذلك الوقت الذي كانت فيه الامم غارقة في عبادة الصور والتماثيل ؟ ولماذا لم يتأثر عقله بما يراه عند قومه وأهله وأهل الكتاب خصوصا الذين يزعم المبشرون أنهم معلموه مع أنه هو الذي جاءهم بالاصلاح قبل أن يعرفوه ونهاهم عن عبادة المسيح ومريم والصور والصلبان . فكيف اقتنع بصحة عقيدته في التوحيد والتنزيه وهي مخالفة لما كان عليه جماهير الناس في العالم كله إلا أفرادا قليلين ؟ وكيف عرف أن الحق مع هؤلاء دون أهله والاكثرين من قومه ؟ وذلك منذ طفولته قبل أن يكون للعقل مجال في البحث والتفكير ، ولماذا كان محمد هو السابق للعالم في اصلاح كل فساد في أمور الناس الاجتماعية دينية كانت أو دنيوية اصلاحا عمليا وناجحا ؟ فمن تعلم هذه الطرق العملية الناجحة في سياسة الناس والتأثير فيهم والوصول إلى قلوبهم وعقولهم حتى صاروا طوع إشارته في كل شيء فملك نواصي العالمين وفاز في ذلك فوزا مبينا لم يسبقه فيه أحد من المصلحين والنبيين ؟

فاذا كان لوثر وغيره بعد الآن من كبار المصلحين ألا بد محمد الذي ظهر قبله في وسط الوثنية المحضة محاطا بها من جميع الجهات وأصلح كافة أمور الناس وأحوالهم وأتى بالدين الحق والتوحيد الخالص ـ ألا بد هذا أكبر مصلح ظهر على الارض ؟

لذلك قال تعالى ٦٢ : ٢ « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ٣ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم (١) وهو العزيز الحكيم » وقال ٢١ : ١٠٧ « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »

لله الحمد !! قد ظهر في الافرنج الآن كثيرون ممن اهتدى إلى صواب جميع ما أتى به

(١) حاشية : قوله (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) معناه يعلم آخرين غير العرب من جميع الامم الاخرى فانهم صاروا من العرب لان بلادهم صارت بلاد العرب ولغتهم لغة العرب وكذلك دينهم وعاداتهم وقد اختلطوا بالعرب بالزواج وغيره حتى صاروا منهم في كل شيء ولذلك قال (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) أي لم يتجنسوا بالجنسية العربية الآن ولم يلحقوا بهم بعد ولكنهم سيلحقون بهم فيما بعد في كل شيء . فهي بشارة بدخول الامم الاخرى في الاسلام وامتلاك العرب بلادهم وصيرورتهم من العرب جنسا ودينا ولغة وعادة الخ الخ حتى صار لفظ العرب يطلق على كل المسلمين من جميع الاجناس لانهم أمة واحدة (وأن هذه أمتكم أمة واحدة) صدق الله العظيم

عليه السلام ومنهم من أسلم ظاهرا و باطنا بعد أن كانوا يعدونه من أكبر الكذابين والدجالين لكثرة ما افتراه عليه قسيسوهم في تلك العصور المظلمة حتى أنهم ادعوا أن لمحمد صنما من ذهب يعبده المسلمون وهم الذين لا يعبدون الا الله وحده و يصلون له خمس مرات في كل يوم و يصيحون باسمه تعالى في كل واد وفي كل مرتفع و يصومون له شهر رمضان في كل سنة

الانبياء الكذبة يعرفون من ثمرة عملهم كما قال المسيح عليه السلام (متى ٧: ١٦ ـ ٢٠) ولا يأتي الشرير بالخير والاصلاح للناس كافة والله تعالى لا يؤيد الكذابين الدجالين المضلين للناس (راجع مزمور ١: ٦ و ٥: ٦ و ٣٤: ١٦ و مز ٣٧) فكيف إذا أيد محمدا صلى الله عليه وسلم حتى نجح في عمله هذا النجاح الباهر العجيب السريع الذي لم يعهد له مثيل في التاريخ ؟

رجل قام باسم الله ودعا الناس باسمه وقال وعمل كل شيء باسمه ونسب اليه تعالى كل عمل من أعماله ولم يكذبه الله تعالى ولم يخذله أو يقتله كما فعل بالكذابين بل ثبته وأيده وقواه ونصره ونجحه في جميع مساعيه ومقاصده وصدقه في كل ما أخبر به عنه ورفع ذكره وأعلى شأنه حتى صار اسمه يذكر بجانب اسم الله على ألسنة الملايين من البشر في كل بقعة من الارض فهل يكون هذا من الكذابين ؟

ولماذا لم يقم الله تعالى واحدا آخر غيره عمل مثل ما عمل ونجح مثل نجاحه أحصوا الملوك العظماء والساسة الماهرين والقواد المحنكين والخطباء البلغاء والمنشئين المجيدين والكتاب المتفننين والشارعين الحكماء والوعاظ المؤثرين والانبياء والمصلحين ومؤسسي الممالك والدول العظام وأروني من منهم جمع كل هذه الصفات وغيرها مما أعجز عن التعبير عنه وعن حصره هنا

من منهم كان بعيدا عن العلم والعلماء والكتابة والقراءة ناشئا بين الوثنيين والجهلة المحرفين والمشركين والوثنيين ؟ من منهم كان فقيرا يتيما أميا إذا أراد أن يتعلم شيئا لا يمكنه إلا إذا اختطفه من أفواه بعض الجهلة الغافلين واختلسه اختلاسا دون أن يشعر به أحد واذا أراد أن يطلع على كتاب لما تيسر له ولما عرف فيه شيئا ولما وجده بين أمة أمية لا كتب لها ولا مكاتب ولا مدارس ؟ ـ من منهم كان في

هذه الظروف كلها وهذه البيئة وهذا الوسط ثم أصلح أمة كالامة العربية وأوجد أمة كالامة الاسلامية وأسس دولا كدولها وأوجد كتابا كالقرآن وشرعا ودينا كالاسلام وأعجز الناس جميعا عن القيام بعمل واحد كأعماله ، والاتيان بسورة كسور قرآنه ، وجمع كل هذه الصفات وبلغ فيها شأوا لا يصل اليه أحد فكان أكبر ملك وأعقل سياسي وأبلغ منشئ وواعظ وأحكم شارع وأشجع قائد وأعظم غاز وفاتح وأورع متدين وأنصح ناصح وأكبر مرشد للناس في كافة شؤونهم الدينية والدنيوية وأعظم مصلح للافكار والاخلاق والعقائد والعبادات والمعاملات وأوسع مؤسس وأدوم منشئ للدول والممالك

وهو في كل ذلك لم يتعلم شيئا يكفي لازالة جزء من ألف مما حوله من الاوهام والخرافات والخزعبلات عنه وعن الناس ولم يتدرب أو يتدرج أو يتمرن قبل النبوة على أي عمل مما أتى به بعد نبوته بل نبغ في كل ذلك دفعة واحدة حينما ظهر بالنبوة وكلما لزمه شيء من أعبائها وجد نفسه أكبر نابغ فيه ، فما هذا العلم في تلك الامية ؟ وما هذا الاصلاح ممن نشأ في الوثنية بعيدا عن كل نظام ومدنية ؟ !

كفاك بالعلم في الامي معجزة * في الجاهلية والتأديب في اليتم

تباركت يا الله انه هو الا وحيك اليه وعونك وتأييدك له ولولاك يا الله ما قدر على فتح مدينة واحدة ولا تهذيب رجل واحد ! ! فاننا نرى الدول الاوربية بخيلها ورجلها وعلمها وفنونها ومخترعاتها وأساطيلها ومدرعاتها وطياراتها وأموالها وزخرفها ومدارسها ومستشفياتها وجميع حيلها وخدعها و.. و.... الخ عاجزة كل العجز عن مناوأة دينك أو صد تياره الجارف أو الحيلولة بينه وبين قلوب البشر المتراصين في أحضانه من كافة الملل والنحل والاجناس في سائر بقاع الارض حتى ضج المبشرون من ذلك وفزعوا وهم مندهشون (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

هذا ولا يخفى أن أنبياء بني اسرائيل أخبروا عما سيحدث في العالم من الحوادث التي تهم امتهم وقلما تجد في كتبهم غير الانباء عن مستقبلهم الى يوم القيامة فأنبأوا

بحادثة بختنصر وكورش والاسكندر وخلفائه وحوادث ارض ادوم ونينوى وبابل والرومان وغير ذلك مما تراه مالئا صفحات العهد العتيق ولا يكاد يخلو منه كتاب من كتبهم وقد اخبر المسيح عليه السلام تفصيلا عن خراب أورشليم وما سيحدث لليهود فيبعد كل البعد ان يخبر هؤلاء الانبياء بهذه الحوادث كلها ويتركوا أكبر حادثة حدثت في العالم ولها اكبر علاقة باليهود والنصارى وهي ظهور محمد صلى الله عليه وسلم الذي زلزل أمم الارض زلزالا وأوجد أمة ملأت العالم علما وحكمة وعدلا ودينا وعمرت أورشليم وأعادت اليها عبادة الله تعالى بدون شرك أو تشبيه وأتى بدين لا يزال ماسكا قلوب الملايين من بني البشر وهو الدين الوحيد الذي ناهض ويناهض المسيحية في جميع البلاد الى اليوم وأوى اليهود وحماهم واكتسح الوثنية أمامه وافتتح بلاد العالم القديم وابتدأ بعمل عمله في العالم الجديد وحارب النصرانية وغلبها قرونا طويلة ونشر العلم والفلسفة بينهم ونبههم الى اصلاح دينهم بعد ان كانوا غارقين في الاوهام والخرافات اجيالا عديدة ، فهل يعقل ان يترك الانبياء هذه الحادثة ويتكلموا عن غيرها مما لا يكاد يذكر بجانبها ؟

الحق نقول ان الانبياء ما تركوا ذلك بل اخبروا به اجمالا وتفصيلا — كما سنعلم — منذ الازمنة القديمة ولكن أهل الكتاب يكابرون . ومع أن كتبهم محرفة وفاسدة كما بينا لكنها لا تزال تشتمل على كثير من بشائر محمد صلى الله عليه وسلم وقد سبق أننا بينا هنا أن كثيرا مما يدعونه في حق المسيح انما هو في حق محمد صلى الله عليهما وسلم وأظهرنا لك بالدلائل أن بشارة دانيال بختم الرؤيا والنبوة هي بشارة به لا بالمسيح كما يزعمون

ولذلك كان العرب ينتظرون مجيئه في ذلك الوقت لاخبار أهل الكتاب إياهم بذلك واخبار زعمائهم وأساقفتهم وكهنتهم كأمية بن أبي الصلت وقس بن ساعدة وسطيح وبحيرا وورقة بن نوفل ، وهذا أمر مشهور معروف في تاريخ العرب واولا ذلك ما قال القرآن ٢ : ٨٩ (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما

جاءهم ماعرفوا كفروا به) وإلا لكذبه الناس في هذه الآية ولقالوا له ما كان أحد ينتظر مجيئك ولا يعرفك أحد

وكيف تختم النبوة بالمسيح وهو القائل لليهود (متى ٢٣ : ٣٤) (لذلك ها انا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة ـ إلى قوله ـ ٣٦ الحق أقول لكم إن هذا كله يأتي على هذا الجيل) أي أمة اليهود كما يقولون هم أنفسهم في قوله (متى ٢٤ ٢٩ ـ ٣٤) وللوقت بعد ضيق تلك الايام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه ـ إلى قوله ـ لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله) فكيف إذاً يقولون إن الرؤيا والنبوة ختمت به وهو يقول إنها لم تختم بعد وأنه سيرسل إليهم أنبياء ؟ وكيف يدعون أن الحواريين أنبياء نزل عليهم الروح القدس وعلمهم أشياء كثيرة ومع ذلك يصرون على قولهم إن الرؤيا والنبوة ختمت به ؟ فما هذا التناقض ياقوم واين عقولكم ؟

هذا واعلم أن البشائر المحمدية كثيرة في كتب أهل الكتاب القانونية وغير القانونية ففي إنجيل برنابا الذي لا يسلمون به ذكر النبي عليه السلام باسمه صريحا في عدة مواضع وفي كتبنا القديمة بشائر كثيرة نقلها المسلمون سابقا عن كتبهم القانونية التي كانت في زمنهم كما في كتاب (الجواب الصحيح) لابن تيمية الذي نقل عن أشعيا وحبقوق التصريح باسم محمد صلى الله عليه وسلم ولكن ذلك غير موجود الآن فيها فيحتمل أنهم محوه منها . ومن تذكر قلة النسخ في تلك الازمنة وعدم وجودها إلا عند رؤساء الدين ووقوع التحريف فيها بالفعل كما يظهر ذلك من الفصل السابق وعدم حفظ أحد لها في صدره وسهولة مسح الكتابة من تلك الرقوق التي كانوا يكتبونها فيها قبل اختراع المطابع لا يستبعد أنهم محوه من جميع نسخهم القديمة والجديدة التي كانت عندهم ولو بالتدريج وقد أخبر المسلمين بذلك بعض اليهود والنصارى الذي اسلموا قديما وكانوا قد عثروا على هذا التحريف والتبديل كما يتضح ذلك لمن راجع كتب البشائر الاسلامية القديمة ، وعثورهم على هذا التحريف كان اتفاقا لأنهم ما كانوا يحفظونها في صدورهم وقل منهم من توجد عنده نسخة كاملة من كتب العهدين وهذا بخلاف القرآن الشريف الذي

كان محفوظا في الصدور ونسخه كانت بأيدي العامة والخاصة لعدم وجود رأسة دينية عندنا ولانتشار العلوم والمعارف بين المسلمين في تلك الازمنة بينما كان الناس غيرهم في بحار الجهل غارقين ولذلك كان عند المسلمين علم التقدم العالي (في الحديث) الذي لم يعرف بين الأوروبيين وغيرهم إلا اليوم والذي أصبحوا يفخرون به علينا ونسوا ماضيهم المظلم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وانا في هذا الفصل لا أريد أن استشهد بتلك البشائر التي لا يسلمون بها الآن ولا بالبشائر التي ليست صريحة بل لا أستشهد إلا بما هو واضح جلي من كتبهم الحالية :ـ (يتلى)

الغارة على العالم الاسلامي (*)

أو

﴿ فتح العالم الاسلامي ﴾

في

﴿ مؤتمر لكنهنوء سنة ١٩١١ ﴾

وقام بعد ذلك القسيس (ك . س) المبشر في (مدراس) فتلا تقريرا عن مشايخ الطرق والدراويش في أفريقية وقدم له مقدمة تاريخية اقتبسها من المؤلفات الفرنسية . والمعلومات التي تضمنها هذا التقرير هي ملخص كتاب ألفه هذا القسيس اسمه (الطرق الصوفية في الاسلام)

ثم قال : ان الاسلام أخذ ينتشر في الحبشة وسيصبح شمال الحبشة عما قريب بلدا اسلاميا . أما «منبسة» وشرقي أفريقية البريطانية فلا أثر فيهما للدراويش المبشرين وليس هناك نجاح للاسلام في شمال نجيريه حتى الايام الاخيرة ، وذلك لما كان يلقاه هذا الدين من مقاومة القبائل الوثنية له . الا أن الاستعمار الانكليزي قد وطد الامن العام ومهد السبيل لسياحة المسلمين . وانتشار الاسلام على يد التجار الهوسيين . وفي نجيريه

(*) تابع لما نشر في الجزء الثامن ص ٦٠٥